Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسر ذلك أن العهد المكى هو عهد الاضطهاد والفتنة ، وقلة الصبر ، وضعف الأتباع . فقد كانوا - كما وصفهم القرآن - قليلاً مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس .

وقد ظل النبى ﷺ نحو عشر سنوات يدعو فلا يستجيب لدعوته إلا الواحد بعد الواحد ، ثم كان العام العاشر ففقد فيه سنده فى الداخل : خديجة زوجه ، وسنده فى الخارج : أبا طالب عمه ، فسماه عام الحزن !

وفى خلال هذه الأعوام حاربته قريش بكل صنوف الأذى ، فى نفسه وفى أصحابه ، بالقول والفعل ، باللسان واليد . . بسلاح الاستهزاء والافتراء . وسلاح الضغط العائلى ، وسلاح المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية ، وسلاح التعذيب البدنى .

ولم يقف ﷺ عند حدود قريش ، فكان يعرض دعوته على قبائل العرب كلما جاء موسم الحج ، فلم يظفر بمن يلبى نداءه . ورحل إلى ثقيف بالطائف ، فلم يجد عندهم أذناً تسمع ، ولا قلباً يعى ، ولا يداً تنبسط إلا بالأذى .

ويرجع من هذه الرحلة بجراح دامية فى قدميه مما قذفه به سفهاء الطائف من حجارة ، وبجراح أعمق غوراً فى قلبه ، مما رده به زعماؤها من أقوال هى أشد من الحجارة إيذاء ، فهذه تؤلم الأبدان ، وتلك تؤلم القلوب . ولا نجد تعبيراً عن الأسى والأسف لما حدث أبلغ من تلك المناجاة الرقيقة المؤثرة المعبرة التى ناجى بها الرسول ربه فى عودته : « اللّهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ... إلى أن يقول : «إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى » .

* * *

• أوامر اللّه لرسوله بالصبر :

من أجل هذا كثرت أوامر اللّه لرسوله بالصبر . حتى تكرَّر فى عشرين موضعاً من كتاب اللّه ، بعضها بصيغة « اصبر » وهى ثمانى عشرة ، واثنتان بصيغة « اصطبر » [1].

---

(١) وهما قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ، هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ (مريم : ٦٥) ، وقوله : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه : ١٣٢)